رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



## رأي ابن خلدون في الصوفية

منذ عام وأنا عاكف علىٰ كتابين مخطوطين لم يطبعا قبل ذلك، أحققهما، وأعلق عليهما، أولهما: (تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي)، والثاني: (تحذير العباد من أهل العناد)، وكلاهما من تصنيف العلامة برهان الدين البقاعي، من أعلام القرن التاسع الهجري[١].

وقد أتممت تحقيق الكتابين والتعليق عليهما، وسيقدمان بمشيئة الله إلىٰ المطبعة قريبًا، وعن الكتاب الأول نقلت هذه الفتوىٰ لابن خلدون وما علقت به عليها:

**قال البقاعي - وهو بصدد ذكر المكفرين لابن عربي وابن الفارض -**: (ومنهم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام[٢] صاحب المغني وغيره من المصنفات البديعة، وكتب علىٰ نسخة من كتاب الفصوص[٣]: (هذا كتاب فصوص الظُّلَمِ، ونقيض الحِكَمِ، وضلال الأمم، كتاب يعجز الذم عن وصفه، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه، لقد ضل مؤلفه ضلالًا بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا؛ لأنه مخالف لما أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وفطر عليه خليقته) انتهىٰ.

**وقال العلامة قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون**[٤]: (إن طريق

---

(١) طبع الكتاب في مجلد واحد بعنوان: «مصرع التصوف». (ض).

(٢) ولد سنة ٧٠٨ هـ، وتوفي سنة ٧٦١هـ.

(٣) يعني فصوص الحكم لابن عربي.

(٤) ولد سنة ٧٣٢هـ، وتوفي سنة ٨٠٨هـ.

المتصوفة منحصر في طريقتين، الأولىٰ: وهي طريقة السنة؛ طريقة سلفهم الجارية علىٰ الكتاب والسنة، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين[1].

(١) ما كان من الصحابة، ولا من التابعين صوفي، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق؛ والصوفية منذ نشأوا، وحيث كانوا عصابة تنابذ الكتاب والسنة، لا يفترق في هذا سلفهم عن خلفهم، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض في البيان عن زندقته ووثنيته، ودليلنا ما سجله التاريخ الحق، وما خلفوه هم في كتبهم من تراث وثني طافح بالمجوسية الغادرة، فتقسيم ابن خلدون هذا مجاف للصواب، ولكنه خُدِعَ كغيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة، وابن خلدون نفسه، يصف التصوف بأنه بدعة، إذ يقول في مقدمته:

(هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة)!

فكيف يصفه أنه حين نشأ كان طريقه الكتاب والسنة، اللهم إلا إن قيل: إن الصحابة شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله!

ثم هل في الكتاب والسنة أن الصوفية غياث الخلق، وأن قبر الكرخي يُقْسَم به علىٰ الله، فيستجيب الدعاء، ويستشفىٰ به، فيهفو الشفاء، كما زعم القشيري في رسالته، وهو من سلف الصوفية المتقدمين، وأقلهم شناعة؟

أفي السنة أن العزوبية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة؟!

وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم المكي في قوته، والسهروردي في عوارفه، ونسبا هذه المانوية إلىٰ الرسول ﷺ؟!

أفي السنة أن الدين شريعة وحقيقة، وأن هذه أفضل من تلك؟

أفيها أن المريد لا بد له من شيخ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان؟

أفيها أن قلب المريد بيد الشيخ يصرفه بهواه؟

=

أفيها أن غضب الشيخ من غضب الله، وأن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل؟

أفيها أن الولاية أفضل من النبوة والرسالة؟

أفيها أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسىٰ، وأن الذرات تسبح بحمد الأولياء، فيفقهون تسبيحها؟

وهذان افتراهما الغزَّالي الذي يقال عنه: إنه حجة الإسلام، وإنه أول من صالح بين السنة والتصوف!!.

تلك بعض مفتريات سلف الصوفية الأقدمين، أو المعتدلين - كما يقال عنهم - بهتوا بها الحق والهدىٰ منذ سمي أول رجل منهم بالصوفي، في منتصف القرن الثاني للهجرة، وتلك بعض ضلالات أولئك الذين خُدِع فيهم الذكي ابن خلدون - وغيره - فزعم لهم أن طريقهم طريق الكتاب والسنة، أنتنسم علىٰ روحك مما نقلته عنهم نسمات حق أو عبير هدىٰ؟!

كلا، بل إنه يحموم وثنية ومجوسية، ثم قل لي بربك: لم سموا أنفسهم بالصوفية، هذا الاسم الذي لا ينتسب إلىٰ الإسلام، ولا إلىٰ لغة القرآن؟

ألا تستشعر بالذات من وراء تميزهم بهذا الاسم، أنهم قوم لا يحبون أن يوصفوا أبدًا بأنهم مسلمون؟!

ثم ألا تراهم اليوم يسمون أنفسهم، وينسبون دينهم إلىٰ طواغيتهم لا إلىٰ الله، ولا إلىٰ رسوله ﷺ؟!

فتش في الأسماء تجد: (رفاعية، أحمدية، برهامية، نقشبندية، ضيفية، شاذلية، سلامية، وغير هذا)، إيماءً إلىٰ أن قدوتهم في الدين وإمامهم، وكتابهم وسنتهم، لا تستمد إلا عن طريق من انتسبوا إليه، ولذا تجد كل طائفة تنسب قدرة الله وعلمه إلىٰ شيخها وحده، ولا ترضىٰ بشيخها - وإن كان في القبر يتصرف فيه دوده وسوسه - بديلًا، هذا؛ لأن الشعراني زعم لهم أن من أشرك بشيخه شيخًا آخر، فكأنما أشرك بالله!!.

وحذرهم طواغيت الصوفية قديمًا وحديثًا من الاعتراض - ولو سرًّا في القلب - علىٰ الشيخ، =

والطريقة الثانية، وهي مشوبة بالبدع، وهي طريقة قوم من المتأخرين يجعلون =

وإلا كان المحق والتدمير والإهلاك!!.

فأية فئة هذه التي تصرف الناس عن عبادة الله إلىٰ عبادة الموتىٰ، ويخوفون دراويشهم بالذين هم من دون الله؟!.

أية فئة هذه التي تعمل علىٰ استعباد القلوب لأهوائهم ونزواتهم، وتقيم في أعماقها الأصنام تطيف بها آمالهم وأحلامهم؟ وعجيب أن أسألك وكل امرئ يعرف بأنهم هم الصوفية!!

ألا فلنقل الحق الذي خدع عن بعضه ابن خلدون: ما من صوفي إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده، من سلف ومن خلف.. والتقسيم الصحيح للتصوف هو أن يقال: التصوف قسمان: عملي، ونظري. وأن هذا وليد ذاك - فالنظرية وليدة التطبيق ثم نبين خصائص كل من القسمين مقارنين بينهما، وبين الحق من الكتاب والسنة، وسنرىٰ بعد هذه المقارنة أن التصوف في نشأته وتطوره، في سلفيته وخلفيته، لا ينتسب إلىٰ الإسلام برحم دانية أو نائية، والسمة الغالبة علىٰ العملي عبادة القبور، وبخاصة الزائف من قبور آل البيت، والسمة الغالبة علىٰ النظري ادعاء أن الخلق هم الله سبحانه وتعالىٰ.

لقد زعم الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، ابن عربي في فصوصه وغيرها:

(الإله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء).

وهذه آخر كلمة في الفصوص، ومن الأشياء: الميكروبات، والجيف، والخنازير، ويقال عن السارق، وعن الباغي، وعن القاتل: شيء يقال عن كل وغد تسفّل في دناءته، عن كل طاغية بغىٰ في تجبره. فيا أيتها البشرية المسكينة، ها هو ابن عربي الشيخ الأكبر للصوفية يناديك ملحًّا ملهوفًا أن تنحدري إلىٰ حيث تترعين من كل حميم، وتتلطخين بكل جريمة، وتتمرغين بأوحال الإثم، ولا تخافي أيتها البشرية شيئًا!! فابن عربي يزعم أن كل امرئ منك هو الله!!

ألا وليطب المستعمرون نفسًا، فالتصوف علىٰ لسان ابن عربي يزعم أن كل مستعمر هو الله!!.

الطريقة الأولىٰ وسيلة إلىٰ كشف حجاب الحس، لأنها من نتائجها، ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي وابن سبعين، وابن برجان[١]، وأتباعهم ممن سلك سبيلهم، ودان بنحلتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها، مشحونة بصريح الكفر، ومستهجن البدع، وتأويل الظاهر لذلك علىٰ أبعد الوجوه وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلىٰ الملة، أو عدها في الشريعة، وليس ثناء أحد علىٰ هؤلاء حجة، ولو بلغ المثني ما عسىٰ أن يبلغ من الفضل؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلًا، أو شهادة من كل أحد.

وما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس؟ مثل الفصوص، والفتوحات المكية لابن عربي، والبد لابن سبعين، وخلع النعلين لابن قسي[٢]، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض.

فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها، متىٰ وجدت بالتحريق بالنار، والغسل بالماء؛ حتىٰ ينمحي أثر الكتابة، لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلة، فيتعين علىٰ ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعًا للمفسدة العامة، ويتعين علىٰ من كانت عنده التمكين منها للإحراق.

---

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، أبو الحكم اللخمي الأفريقي الصوفي، المعروف بابن برجان، له مصنفات منها التفسير ولم يكمله، وشرح الأسماء الحسنىٰ، توفي سنة (٥٣٦هـ). [انظر: تاريخ الخلفاء (١/ ٣٧٨)]. (ض).

(٢) هو أحمد بن قسي الأندلسي أبو القاسم، صوفي له كتاب: «خلع النعلين في الوصول إلىٰ حضرة الجمعين»، توفي سنة (٥٤٥هـ). [انظر: لسان الميزان (١/ ٢٤٧)]. (ض).